صالح سرية

من ظلام المعتقلات وقسوة التعذيب وجروح المعتقلين، التى أصابت عقولهم قبل أجسادهم، خرج فكر التكفير من رقاده الطويل ليصفع الحاكم والمحكومين، ويسيل الدماء ويزهق الأرواح.. ويعتنقه شباب فقدوا الثقة فى الدولة والمجتمع والمؤسسة الدينية ورجالها.. عاشوا مرارة الهزيمة وراء أسوار السجون ولم يشعروا بما عاناه الناس خارجها، وحكموا عليهم بالكفر ولم يتذكروا سوى آلامهم وعذابهم فكفروا بالجميع وفسروا آيات القرآن بما يؤكد أفكارهم، ونقبوا فى السُنة عن أدلة فسروها لكى ترضيهم وتؤكد موقفهم ليكتوى المصريون والمسلمون فى كافة أنحاء العالم بنيران التكفيريين وليدفع الكثيرون ثمن تلك الأفكار التى أزهقت أرواحا وشردت أسرا وحرمت أطفالا من آبائهم وأمهات من أبنائهن الذين نبذنهم ليرتموا فى ظلام التكفير الذى وئد فى ظلام الجبروت والظلم والألم والعذاب ولم يجابه بالكلمة والرأى والعقل.

وفى نفس الوقت الذى كان يختمر فيه فكر التكفير داخل السجون فى عقل شكرى مصطفى لينطلق بعد ذلك بسنوات ويتسبب فى جريمة مقتل الشيخ الذهبى متحصنا بأفكار الخوارج ولعنة نافع بن الأزرق، سبقه "صالح سرية" ليبدأ وينتهى سريعا مع جماعته "شباب محمد" أو جماعة الفنية العسكرية لتتسبب أفكاره فى مقتل ١١ شخصا وجرح مايقرب من ٢٧ .

البداية كانت مع د. "صالح سرية" الفلسطينى الذى ولد بيافا وهاجر منها عام ١٩٤٨ بعد أن شهد ضياع بلده وتحوله إلى غريب اغتصب بيته وشردت عائلته التى هاجرت إلى العراق وكبر صالح ليحمل بداخله آلام فقدان الوطن ودرس فى مصر والتحق بالكلية الحربية بالعراق وانتمى إلى جماعة الإخوان

المسلمين فى الأردن ولم يجد فيها متسعا لأفكاره فالتحق بحزب التحرير الإسلامى، الذى أسسه عام ١٩٥٠ الشيخ تقى الدين النبهانى بالأردن لينتشر فى كثير من الدول، وهو حزب سياسى إسلامى يدعو إلى تبنى مفاهيم الإسلام وأنظمته والدعوة إليه والسعى لإقامة دولة الخلافة، معتمدا الفكر أداة رئيسية فى التغيير، مبتعدا عن النواحى التربوية والروحية وكان لذلك الحزب آراء فقهية غريبة وشاذة أكدت انحرافه، ومنها السجن عشر سنوات لمن تزوج بإحدى محارمه وتفسيره لملكية الأرض بمعنى زراعتها، والذى يهملها ولايزرعها لمدة ثلاث سنوات تؤخذ منه وتعطى لغيره، ولايجوز تأجير الأرض الزراعية عندهم إطلاقا.. ولم تكن تلك فقط فتاواهم، وإنما كان هناك الكثير منها وأغربها على الإطلاق وأبعدها عن الدين الإسلامى قولهم بجواز القتال تحت راية شخص عميل تنفيذا لخطة دولة كافرة مادام القتال قتالا للكفار.

اعتنق صالح سرية أفكار حزب التحرير الإسلامى لتختلط لديه الكثير من المفاهيم مما دفعه للانضمام إلى تنظيم فى العراق حرض من خلاله على قلب نظام الحكم العراقى بانقلاب عسكرى ومحاولة اغتيال أحمد حسن البكر وصدام حسين، وفشلت محاولته فهرب إلى سوريا وأقام فيها ما يقرب من عام حتى هدأت الضجة من حوله.. ليرحل إلى القاهرة ويعمل موظفا بجامعة الدول العربية مؤمنا بفكرة تأسيس تنظيم يقوم على منهج العمليات العسكرية السرية للوصول إلى السلطة، وجاء عام ١٩٧١ ليبدأ الإفراج عن المعتقلين من الإخوان المسلمين ليضع أمامهم تجربته وأفكار حزب التحرير وخطته التى تهدف إلى الاستيلاء على الحكم.. نجح صالح سرية فى تكوين خليته فى مدة ثلاث سنوات معتمدا على نشر أفكاره بين شباب الجامعات وكون منهم خلايا سرية فى القاهرة والإسكندرية أطلق عليهم (الأسر) ووضع أفكاره فى كتاب أسماه (رسالة الإيمان) كانت بها خلاصة أفكاره ومنهج جماعته ودستور أتباعه.. وعقيدته التى اعتنقها من ساروا خلفه إلى الهاوية.. قال فيها إن الحكم القائم فى جميع بلاد الإسلام هو حكم كافر ولاشك فى ذلك وأن دار الإسلام عند الفقهاء هى الدار

التى تكون فيها كلمة الله هى العليا ويحكم فيها بما أنزل الله حتى ولو كان كل سكانها من الكافرين، وأن دار الحرب هى الدار التى تكون فيها كلمة الكفر هى العليا ولا يحكم فيها بما أنزل الله ولو كان كل سكانها من المسلمين.. وأن الطريق الوحيد لتغيير حكم الكفر "الجهاد".

فالجهاد لتغيير هذه الحكومات وإقامة الدولة الإسلامية فرض عين على كل مسلم ومسلمة لأن الجهاد ماض إلى يوم القيامة، والجهاد هو الطريق لإقامة الدولة الإسلامية لأنه لايجوز موالاة الكفار والأنظمة الكافرة ورفض بشكل قاطع مصطلحات الديمقراطية والأحزاب وقال إن "كل من اشترك فى حزب عقائدى فهو كافر لا شك فى كفره، فهذه الأحزاب لها عقائد ومناهج مخالفة لعقائد الإسلام، فمن آمن بها دل على أنه يفضلها على عقائد ومناهج الإسلام وهذا هو الكفر".

وتحول الثورى إلى إمام وزعيم سياسى وفقيه فيقول: إن كل من نفذ أوامر الحكومة الكافرة طواعية ودون إنكار فهو كافر سواء كان مخبرا أو شرطيا أو ضابطا أو محققا أو قاضيا أو صحفيا، وكل فرد من أفراد الشعب رضى بقوانين الدولة ولم ينكرها ووقف موقف اللامبالاة فهو كافر، لأن كل هؤلاء فضلوا شريعة البشر على شريعة الله.. وهذا كفر لأنهم اتخذوا آلهة من دون الله وحكموا بغير ما أنزل الله.. وكل من اعترض على حكم من أحكام الله ولم يرض عنه فهو كافر وعلى هذا فكل من كتب ضد الحدود الشرعية فهو كافر كفرا صريحا نبيح دمه ونطلق منه زوجته ولايصلى عليه ولا يقبر فى مقابر المسلمين ولا يرث ولا يورث.." وينطبق نفس القول على من اتهم الدين بالتخلف والرجعية أو اتهم المتدينين بنفس الأوصاف لأنهم متمسكون بالدين وأمثال هؤلاء كفار وينطبق ذلك على كل من يعترض على المظاهر الإسلامية الثابتة بالكتاب والسُنة والذين يعترضون على ملابس السيدات المسلمات المحتشمة وكذلك من يعترضون على تربية اللحية.

ووضع صالح سرية مفهوم العنف كمنهج وحيد للتصادم مع السلطة، وللوصول إلى الحكم، وأن العنف هو الخيار الوحيد ولابد أن تسارع جماعته بتوجيه الضربة إلى السلطة الحاكمة قبل أن تسعى السلطة لتصفية الجماعة وإنهائها..

ونجح الإمام، الذى فشل فى ثوراته ونجح فى تغييب العقول وإغلاقها بفكره التكفيرى، فى تكوين ثلاث مجموعات وضع على رأس كل واحدة أميراً يكون همزة الوصل بينه وبين أمراء الخلايا ينقل إليهم التعليمات والأوامر، فكانت مجموعة الإسكندرية أميرها طلال الأنصارى ومجموعة القاهرة أميرها حسن الهلاوى الإخوانى الذى انضم إلى تنظيم سرية بعد الإفراج عنه ومجموعة الفنية العسكرية أميرها كارم الأناضولى الطالب بالكلية إلى جانب مجموعة من الخلايا السرية تتكون كل واحدة من ستة أفراد ولكل خلية أمير يبايعه الأعضاء على السمع والطاعة وكانت السرية الشديدة أهم دعائم التنظيم فلا يعرف أعضاء كل خلية إلا المجموعة التى ينتمون إليها، وكان لكل عضو فى التنظيم اسم حركى ويتم الاتصال بين كل خلية وأخرى عبر قادة الخلايا المنتمين أيضا إلى خلايا لايعرف كل عضو بها إلا الأعضاء الذين يتصل بهم.

وكان طلال الأنصارى طالبا بكلية الهندسة بجامعة الإسكندرية عندما التقاه صالح سرية فى منزل زينب الغزالى بعد أن أفرج عنها الرئيس السادات وكان طلال شابا متحمسا يسعى لتأسيس تنظيم وعندما فاتحه صالح سرية بأفكاره قبل بها ونشط بتجنيد الشباب حتى وصلت مجموعته فى الإسكندرية إلى ستين شخصا وعندما رأى "سرية" أن مجموعة الإسكندرية بدأت تزداد أشرك مع طلال، كامل محمد عبدالقادر طالب الطب بجامعة الإسكندرية ليعاونه ثم جعله يتولى إمارة الإسكندرية وطلب من طلال أن يقلل نشاطه خوفا من انكشاف أمر التنظيم بعد اتساعه.

ولم يكن صالح سرية يعتمد على أمرائه فى تنفيذ أفكاره بل كان يعقد

اجتماعات فى أوقات منتظمة لترتيب أفكاره والتأكد من تحكمه بأمور تنظيمه ومدى انصياع أتباعه له واستجابتهم لتنفيذ أوامره وكان دائما ما يحذرهم بأن المظاهر الإسلامية التى يقوم بها كثير من الحكام من صلاة وصوم وتلاوة القرآن يعتبرها من باب الخداع لأنهم فى نفس الوقت سيبعدون الإسلام عن قضايا التشريع والحكم، بل ويحاربون من دعوا إلى استئناف الحكم الإسلامى ويسجنونهم ويضربونهم فهؤلاء لاشك كفار.. وكان يضرب لهم أمثلة على قدرتهم للقيام بالثورة والوصول إلى السلطة مثلما فعل الرئيس موبوتو فى الكونغو والثورة الليبية وثورة يوليو فى مصر نفسها.

ووضع "سرية" هدفا أمامه رأى أنه السبيل للسيطرة والوصول إلى الحكم وهو الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية منطقة فى مصر الجديدة التى تضم مخازن بها كميات هائلة من الأسلحة المتنوعة والذخيرة وعدد من الدبابات والصواريخ والقنابل التى تستخدم لتدريب الطلاب فكانت فكرته بسيطة وساذجة تعتمد على الاستيلاء على الكلية الفنية العسكرية وأسلحتها ثم التحرك بعد ذلك إلى مبنى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى على كورنيش النيل لاعتقال رئيس الجمهورية أثناء اجتماعه باللجنة المركزية والاستيلاء على الحكم..

وبدأ الجميع يعمل من أجل ذلك الهدف، وكان كارم الأناضولى يضع رسما تخطيطيا لمبانى الكلية الفنية ووقت تنفيذ الخطة سيجتمع أعضاء التنظيم وستوزع الأدوار عليهم بعد أن يرتدوا ملابس عسكرية، وسيقوم أعضاء التنظيم من داخل الكلية بتخدير الحراس ثم إطفاء أنوار الكلية وقطع اتصالها بالخارج واحتجاز الطلبة والضباط بداخلها فى أماكن مغلقة ثم يتجه أفراد التنظيم وهم يرتدون الملابس العسكرية التى كان إصرار صالح سرية على ارتدائها دليلا على هوسه بالانقلابات العسكرية ثم يتجه الجميع إلى مبنى الاتحاد الاشتراكى خلال اجتماع الرئيس السادات مع أعضاء اللجنة المركزية وأعضاء مجلس الشعب وسيتم التحايل على حراسة الرئيس بتهديدهم بأنهم قاموا بزرع

المتفجرات داخل القاعة.

تم الاتفاق على تنفيذ ذلك المخطط الذى لايمكن أن يوصف إلا بالسذاجة الشديدة وبالبلاهة فى كثير من خطواته فى ١٥ إبريل ١٩٧٤ وكان سيتم التنفيذ ببعض أعضاء مجموعة الإسكندرية. وزيادة فى الحرص قرر "سرية" إجراء تجربة قبل يوم التنفيذ ، على أن يتم تجميع المشاركين فى ميدان العباسية لاختبار كيفية تحركهم والوقت الذى سيحتاجون إليه حتى يصلوا إلى أبواب كلية الفنية العسكرية التى كان ينتظر أفراد التنظيم بها إشارة البدء وتحدد يوم ١٦إبريل لإجراء الاختبار.

ولم يتم الاختبار فقد أعلن فى نفس اليوم عن تحديد يوم ١٨ إبريل موعدا لاجتماع الرئيس السادات بأعضاء اللجنة المركزية وهو ماجعل سرية يتخذ القرار بتنفيذ خطته للاستيلاء على الحكم فى نفس موعد الاجتماع وتم إخطار كارم الأناضولى بموعد التنفيذ وطلب منه الاستعداد وتجهيز الأطعمة المخدرة التى سيقدمها للحراس والجنود..

وغرق "سرية" فى تجهيز البيان الذى سيلقيه بعد نجاح الانقلاب ووصوله إلى الحكم وصاغ كلماته كالآتى: بيان صالح سرية رئيس الجمهورية:

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.. (آل عمران آية ٢٦).

"أيها الشعب الحبيب أيتها الأمة المجاهدة الصابرة لقد نجحنا والحمدلله صباح اليوم فى السيطرة على الحكم واعتقال جميع المسئولين عن النظام السابق وبدء عهد جديد ونحن لا نكيل الوعود لكم لكننا نعلن أن النظام الجيد سيقوم على المبادئ التالية:

- ستقوم مبادئ الدولة على أسس جديدة لا لبس فيها ولا تناقض

- سوف لاتكون الثورة مقصورة على الجوانب السياسية والعسكرية فقط وإنما

تشمل جميع نواحى الحياة الاقتصادية والثقافية والتعليمية والوظيفية والاجتماعية وغيرها.

- سوف تهتم الدولة اهتماما خاصا بالإيمان والأخلاق والفضيلة.

- سوف تهتم الدولة فى كل سياستها بمصلحة الأمة أولا ثم المواثيق والاتفاقات.

- ستعمل الدولة على تحرير كل الأجزاء السليبة من وطننا وعلى مساعدة المحرومين والمظلومين فى كل مكان وستقاوم الاستعمار بجميع أشكاله فى العالم.

- ستعمل الدولة جاهدة على قيام الوحدة بكل الطرق دون الاكتفاء بالادعاءات اللفظية وستقوم بكل جهدها لدفع التنمية من أجل رفع مستوى السكان.

- سوف نطلق الحرية للمجتمع ليقول كل ما يريد ونقد كل أجهزة الدولة عدا الكذب والافتراء والبهتان.

- سنعيد تقييم كل المبادئ والاشخاص والوظائف.

- سوف تحمى الدولة كل مبادىء العدل المشهورة فى تراثنا.

والله الموفق

صالح سرية

رئيس جمهورية مصر العربية

ومثلما احتفظ لنفسه بمنصب رئيس الجمهورية إلى جانب وزارتى الداخلية والحربية فقد قام مع طلال الأنصارى وكامل عبدالقادر بتوزيع المناصب الوزارية على باقى أفراد التنظيم وأن يتولى طلال الأنصارى وكامل عبدالقادر قيادة الكتائب الإسلامية التى تتدرب على السلاح لمدة أربعة أشهر وتتولى تطهير البلاد من الشيوعيين والإباحيين.

وحانت لحظة الصفر وتحرك الثمانية عشر شخصا الذين تم انتقاؤهم لاقتحام الكلية من الخارج وتم تقسيمهم إلى ثلاث مجموعات على رأس كل منها

أمير على أن تتولى كل مجموعة أحد أماكن الحراسة فى نفس الوقت الذى تحركت فيه مجموعة كارم المكونة من تسعة عشر عضوا و ثلاثة جنود لقطع الكهرباء عن الكلية ونجحت المجموعة من الخارج فى القضاء على حرس البوابة الخلفية واستولوا على بنادقهم وأدخلوا باقى المجموعة واتجه فريق منهم لمخزن سلاح لواء الجنود لاقتحامه.. لكن بسرعة بدأت بوادر الفشل تحيط بخطتهم الحمقاء فلقد قاومهم حرس الكلية فى نفس الوقت الذى تمكن فيه مجموعة الفنية من الوصول إلى كابينة الإنارة واستطاعوا فصل التيار الكهربائى.

قاوم حراس الكلية وفجأة انطلق صوت الإنذار فقد تمكن أحد حراس الأبواب من النجاة من القتل واستطاع ان يتصل بالضابط المسئول تليفونيا والذى أطلق الإنذار وسارع إلى مدير الكلية واتخذ من إحدى غرف الكلية مركزا لإصدار الأوامر ونجحوا فى صد الهجوم والسيطرة على الموقف بعد أن سقط أحد عشر قتيلا وجرح اثنان وعشرون شخصا وبعدها تم تقديم التنظيم إلى المحاكمة فى ٢٦ يونيو ١٩٧٤ وكان عددهم٨٠ متهما من بينهم ١٧ طالبا بالكلية الفنية العسكرية، وصدر الحكم بالإعدام على صالح سرية وأحكام بالسجن على بعضهم وأفرج عن ٦٠ من أفراد التنظيم.

ورغم فشل محاولة صالح سرية فشلا ذريعا فى الاستيلاء على الحكم بالقوة من خلال أول جماعة إسلامية مسلحة لكنها وضعت بذور العديد من التنظيمات التكفيرية التى ظهرت بعد ذلك وتفرق فيها عدد كبير ممن أفرج عنهم من تنظيم "جماعة شباب محمد".